مقدمة
الكبد فى التاريخ القديم

منذ فجر التاريخ والكبد محط أنظار المصريين القدماء، فكان من الأعضاء الهامة التى يعتنى بها عند التحنيط مع القلب والكليتين فى مصر الفرعونية. وقد عرف الإنسان المصرى البلهارسيا منذ القدم وسجلت برديات الفراعنة الفلاحين المصريين المصابين بالبول الدموى نتيجة البلهارسيا البولية.

والطب الفرعونى القديم حافل بالعديد من الاكتشافات الطبية العظيمة التى مازلنا نفتخر بها على مر العصور، وعلى سبيل المثال هذه اللوحة الحجرية الموجودة فى معبد الدير البحرى بالأقصر والتى بها ضمور فى الساق اليمنى نتيجة الإصابة بفيروس شلل الأطفال تدل على أن الفيروسات موجودة منذ أكثر من ١٥٠٠ سنة قبل

الميلاد، وهناك أيضا العديد من المومياوات وجد بها أثار الإصابة بفيروس الجدرى.

ومنذ الألف الرابع قبل الميلاد، كان الكهنة البابليون يعتقدون أن الكبد له خواص روحية، ونشأ لديهم علم من علوم التنجيم يقوم على تفحص كبد الحيوانات التى تقدم كقرابين للآلهة كوسيلة لقراءة الغيب ومعرفة المستقبل، وقامت فكرتهم هذه على أساس أن الكبد يحتوى على كميات هائلة من الدم، والدم عندهم هو مصدر الحياة، وهو الذى يراق على المذابح كتضحية للآلهة، والتنازل عن أهم رموز الحياة لتقربهم إلى آلهتهم زلفى.

وكان الاعتقاد أن الروح تخرج من الجسد مع الدماء المتدفقة، ولما كان الكبد يحتوى على نسبة كبيرة من الدم فقد اعتبروه مركزا للروح، وبالتالى للحياة والعاطفة. ولعل ذلك هو مبعث الرمز بالكبد للحب أحيانا، والعاطفة بأنواعها أحيانا أخرى، فتسمع أقوالا مثل: وكتمت السهم فى كبدى، رمزا للحب والتضحية، ونسمع أن أولادنا هم أكبادنا أو فلذات أكبادنا رمزا لاقترابهم الوثيق داخل حنايانا وحيوية أجسادنا.

أما الإغريق فقد اعتبروا الكبد مصدرا للقوى الطبيعية التى تتحكم فى الإنسان، وتحدد عواطفه ورغباته، فهذا جالينوس

الطبيب الإغريقى الشهير مثلا، كان يعتقد أن الكبد مصنع للدم، ويخرج مع الدم قوى طبيعية تحدد صحة الإنسان، وتدفع الحيوية والقوة داخل جسده.

وفى رأى جالينوس وغيره من الأطباء الإغريق أن الكبد يمتص الغذاء من البطن لكى يحصل على لبنات الحياة واستمرارها، ويحولها إلى مصادر للطاقة الطبيعية داخل الجسم الحى. والإغريق فى تقسيمهم أنواع الطباع اعتبروا صاحب المزاج الصفراوى (نسبة إلى الكبد والصفراء) عصبى المزاج، مندفعا متهورا فى تصرفاته، سهل الغضب والاستثارة وأن مزاجه نارى أى مثل النار، ولعل ذلك كان نابعا من ملاحظتهم الخاصة على المرضى المصابين بأمراض الكبد وما يصيبهم من ضيق وتوتر عصبى نتيجة تأثير الصفراء على المخ، أو نتيجة امتصاص مواد ضارة من الأمعاء وعدم ترشيحها فى الكبد حيث تذهب إلى المخ وتحدث به الخلل المعروف بالغيبوبة الكبدية.

وكان العرب قبل الإسلام يعتبرون الكبد مركزا للشجاعة والبسالة والإقدام، فكان المحارب يحاول دائما أن يطعن خصمه فى كبده، ولعلنا نذكر ما حدث لحمزة عم الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى غزوة أحد، عندما أخرجت هند بنت عتبة كبده

بعدما تيقنت من قتله. وأكلته نيئا تنكيلا به، بعد أن قتل أباها وأخاهـا فى غزوة بدر. حتى إن هنـد أطلق عليها آكلة الأكباد، وهى فى هذا لم تكن تتصرف تصرفا شاذا غير معروف، بل كانت هذه عادة عند بعض القبائل قبل الإسلام.

وكلمـة فيروس كلمـة يونانية قديمة تعنى (سـم)، وأول من اسـتخدمها كان ادوارد جنر فى عام ١٧٩٨م، وظلت حتى بداية ١٨٠٠م عندما جاء العالم البكتريولوجى كوخ الذى اسـتطاع عمل مرشح يفرق بين البكتريا والفيروسات.

وأول فـيروس تم وصفـه كان الفيروس المسـبب لـمرض الفم والقـدم عام ١٨٩٨م، تلاه الفيروس المسـبب للحمى الصفراء فى عام ١٩٠٠م، ثم اسـتمرت سلسـة الاكتشافات العلمية حتى عام ١٩٦٥م عندما اكتشف الجسم الغريب لفيروس الالتهاب الكبدى (بى) ولازالت سلسلة الاكتشافات مستمرة.

والفـيروس يتكون من جزءين: لب داخلى يتكون من الحمض النووى إما (د ن أ) DNA أو (ر ن أ) RNA وقشرة خارجية تحمى الفيروس وتساعده على الالتصاق بالخلية التى يستهدفها، ولاترى الفيروسـات بالعين المجردة ولكن يمكن رؤيتها بالميكروسـكوب الإلكترونـى، ويـتراوح حجم الفيروس مـن ٢٠ – ٣٠٠ نانوميتر

(النانو واحد على مليون من المليميتر) ولا يستطيع الفيروس أن يعيش مستقلا بذاته لذا فهو دائم البحث عن خلية كى يعيش داخلها ليندمج مع مكوناتها ويصبح جزءا منها، بل يستطيع السيطرة على نشاطها والتكاثر داخلها.

وأول وصف لنوبات من اليرقان (الصفراء) كان فى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد فى مدينة بابل، وأول من أطلق كلمة الصفراء على أمراض الكبد هو (أبقراط) فى كتاباته اليونانية القديمة منذ ما يقرب من ٢٠٠ سنة قبل الميلاد، ومن أقواله: إذا كنا نحيا حياة طيبة فبصحة أكبادنا. وأول من فرَّق بين أنواع الصفراء هو ابن سينا. وسجلت نوبات من الالتهاب الكبدى لبعض جنود الحرب العالمية الأولى، وقبلها أيضا سجلت نوبات من الصفراء بين مجموعة من الأطباء عام ١٨٥٥م بعد تطعيمهم بمصل الجدرى الملوث بالفيروس واعتبر هذا أول دليل على إمكانية انتقال فيروس الالتهاب الكبدى بالحقن ولم يعرف وقتها الفيروس المسبب.

وأمراض الكبد عديدة منها الأمراض الوراثية... والمناعية والتهابات الكبد الفيروسية والبكتيرية والطفيلية وأمراض سوء التغذية.. والأمراض الناتجة عن تعاطى بعض الأدوية ومرض الكبد الكحولى والكبد الدهنى، والكبد يصاب بالأورام الحميدة

والخبيثة. ويتأثر بمرض باقى أعضاء الجسم، إذا تداعى عضو تداعى له الكبد أيضا.

ويعد أكثر الأمراض شيوعا بين أكباد المصريين الفيروسات الكبدية والتدهن الكبدى والبلهارسيا التى تذهب ديدانها إلى الدورة البابية للكبد وتسبب التشمع الكبدى وتضخم الطحال والاستسقاء ودوالى المرىء. ولكن البلهارسيا قل انتشارها حاليا بفضل التوعية الصحية.

أما الفيروسات الكبدية فمنها مجموعة تنتقل عن طريق تلوث الطعام والشراب من براز أو سوائل المريض وأشهرها فيروس (أ)، (هـ) أو (A) (E) وتسبب الالتهاب الكبدى الحاد ولاتسبب التهابا مزمنا، وهناك مجموعة أخرى تنتقل عن طريق الدم الملوث ومشتقاته مثل فيروس (بى) وفيروس (سى).

وتؤدى الالتهابات المزمنة فى الكبد إلى التشمع ثم التليف الذى يؤدى إلى ارتفاع ضغط دم الوريد البابى وتضخم الطحال ويسبب فى النهاية دوالى المرئ والاستسقاء.. وانحباس الصفراء والغيبوبة الكبدية.